فأكْثِروا فيهِنَّ من التَّهْليل

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ: فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ، وَلاَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ»

[الحديث رواه أحمد، وصححه العلامة أحمد شاكر، والحافظ العراقي].

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: يُرْشِدُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى فَضْلِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الْعَشْرِ الأَوَائِلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؛ وَمِنْ هَذِهِ الأَعْمَالِ:

ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى؛ حَيْثُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ»، وَهُوَ قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، «وَالتَّكْبِيرِ»، وَهُوَ قَوْلُ: اللهُ أَكْبَرُ، «وَالتَّحْمِيدِ»، وَهُوَ قَوْلُ: الْحَمْدُ للهِ .

وَالذِّكْرُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمُيَسَّرَةِ وَالسَّهْلَةِ، وَالَّتِي لَيْسَ لَهَا وَقْتُ انْتِهَاءٍ، وَلاَ حَدٌّ مَعْلُومٌ كَبَقِيَّةِ الْعِبَادَاتِ؛ بَلْ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ وَعَلَى أَيِّ صِفَةٍ كَانَ الذَّاكِرُ لِرَبِّهِ فِيهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] وَقَالَ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران : ١٩٠-١٩١] تَقُولُ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: «كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» [رواه مسلم].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَشُرُوحِ الْحَدِيثِ: إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا وَاظَبَ عَلَى أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ وَأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ وَأَذْكَارِ النَّوْمِ، وَالأَذْكَارِ الَّتِي تُقَالُ فِي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ وَعِنْدَ الرُّكُوبِ وَعِنْدَ الطَّعَامِ وَعِنْدَ الشَّرَابِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ، إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الأَذْكَارِ الْمُوَظَّفَةِ لِلْمُسْلِمِ فِي أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ، مَعَ عِنَايَةٍ مِنْهُ بِالذِّكْرِ الْمُطْلَقِ كُتِبَ بِذَلِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ الَّذِينَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا، كَمَا فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَمْ يَأْتِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- عَمَلٌ يَسِيرٌ يُقَابِلُهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ كَمَا جَاءَ فِي ذِكْرِ اللهِ، وَلَكِنَّ الصُّعُوبَةَ لَيْسَتْ فِي العَمَلِ، وَإِنَّمَا فِي التَّوْفِيقِ لَهُ.

وَالذِّكْرُ: هُوَ غِرَاسُ الْجِنَانِ؛ الَّتِي يُلْهَمُ أَهْلُهَا الذِّكْرَ فِيهَا كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ، كَمَا فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ». وَمَنْ نَظَرَ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَجَدَ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي ذِكْرِ اللهِ، فَهُوَ يُزِيلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ وَالْفَرَحَ وَالسُّرُورَ، وَيَكْسُو الذَّاكِرَ الْمَهَابَةَ وَالنَّضَارَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعْد: ٢٨]، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ۞ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللهِ»

[رواه الترمذي، وصححه الألباني].

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَتَأْتِي بَعْدَهُ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ كَلِمَةٍ فِي الْوُجُودِ، لأَجْلِهَا خُلِقَتِ الْخَلِيقَةُ، وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَأَسَاسُ الْمِلَّةِ وَرُكْنُ الإِيمَانِ، وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا نَجَا، وَمَنْ مَاتَ عَلَيْهَا سَعِدَ سَعَادَةً لاَ يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا، وَفَضَائِلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَوْقِعُهَا مِنَ الدِّينِ فَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ وَيَعْرِفُهُ الْعَارِفُونَ؛ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الحَمْدُ لِلَّهِ»

[رواه الترمذي، وحسنه ابن حجر والألباني].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، عَنِ ابْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [حسنه الألباني].

هَذَا، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

جمعه / الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

محمد بن سليمان المهوس

في الثلاثين من شهر ذي القعدة من عام اثنين وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام